وكيدها ضده بصورة خفية، وكما سنلاحظ ذلك لاحقًا.

ولا تتفق المصادر في تحديد تاريخ معركة النهروان التي تم فيها للخليفة علي بن أبي طالب ﷺ القضاء على مقاومة الخوارج، فقد أورد الطبري رواية تشير إلى أن تلك المعركة قد وقعت في شهر صفر سنة 38 هـ[1]. في حين يذهب كل من الواقدي[2] وابن خياط[3] إلى أنها قد وقعت في شهر شعبان من سنة 38 هـ. وربما كان التاريخ الأخير هو الأقرب للصواب لأن هذه المعروكة قد وقعت بعد فشل التحكيم، وقد رجح البحث أن واقعة التحكيم قد حصلت في شهر شعبان من سنة 38 هـ / 658 م.

6- تجدد الصراع بين الخليفة علي ومعاوية:

بعد انتصار الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ على الخوارج في النهروان قرر المضي في خطته لمحاربة أهل الشام، غير أنه فوجيء بأن جيشه لم يكن مستعدًا لمطاوعته في هذا المجال، وأخذوا يعتذرون إليه بأنهم متعبون، وغير مستعدين لخوض الحرب بصورة جيدة، فاضطر لقبول اعتذارهم، وأمرهم "أن يلزموا عسكرهم، ويوطنوا على الجهاد أنفسهم وأن يقلوا زيارة نسائهم وأبنائهم حتى يسيروا إلى عدوهم، فأقاموا فيه أياما، ثم تسللوا من معسكرهم، فدخلوا إلاّ رجالاً من وجوه الناس قليلاً، وترك المعسكر خاليا، فلما رأى ذلك دخل الكوفة، وانكسر عليه رأيه في المسير"[4].

وهكذا أخذت روح التفكك تسري في أوصال جبهة أهل العراق، حيث ضعفت عزيمتهم عن المضي في القتال بعد معركة صفين ونتائج التحكيم وخروج الخوارج ومقاتلتهم للخليفة علي بن أبي طالب ﷺ.

رابعا: تفكك جبهة العراق:

وقد ترتب على الوضع الجديد أن بدأت روح الانتقاض تزداد بين أتباع الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ وفي الولايات التابعة لحكمه[5]. وكان أبرز مظاهر ذلك الانتقاض ما يأتي:

1- خروج الخريت بن راشد:

كان الخريت بن راشد من أتباع الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ الذين التحقوا مع

(1) المصدر نفسه، ج 5، ص 92.
(2) المصدر نفسه، ج 5، ص 71.
(3) ابن خياط: تأريخ، ج 1، ص 180.
(4) الطبري: تأريخ، ج 5، ص 89 – 90.
(5) المصدر نفسه، ج 5، ص 122.

ثلاثمائة رجل من قومه بني ناجية: "قدموا معه من البصرة، وكانوا قد خرجوا إليه يوم الجمل وشهدوا معه صفين والنهروان"[1]. فلما كان التحكيم وظهرت نتائجه جاء إلى الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ يسير بين ثلاثين من أصحابه، فقال له: "والله يا علي لا أطيع أمرك، ولا أصلي خلفك، وإني غدا لمفارقك، وذلك بعد تحكيم الحكمين"[2].

ويبدو أن طبيعة معارضة الخريت بن راشد للخليفة علي بن أبي طالب ﷺ تختلف عن معارضة الخوارج له، إذ كان الخريت يرى ضرورة قبول الخليفة علي بن أبي طالب لحكم الحكمين والتخلي عن الخلافة ليعود أمرها شورى بين المسلمين[3]. وقد عبّر عن رأيه هذا بقوله: "إن عليا حكم حكما ورضي به، فخلعه حكمه الذي ارتضاه عليه من الكوفة"[4].

وهكذا فقد خرج ابن راشد ومن تبعه عن طاعة الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ واتجه معه أصحابه إلى الأحواز عن طريق المذار، وقد تابعهم في دعوتهم بعض أهل الأحواز فامتنعوا عن دفع الخراج، فأرسل إليهم الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ جيشًا من الكوفة تحت قيادة معقل بن قيس التميمي فهزمهم عند رامهرمز. عند ذلك اضطر الخريت إلى العودة إلى بلاده في البحرين، حيث أخذ يؤلب قومه بني ناجية على الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ فأفلح في كسبهم إلى صفّه، فضلا عن قبائل عبد القيس، لذا فقد اضطر معقل بن قيس إلى مواصلة حربه ضد الخريت في البحرين حتى تم له القضاء عليه وتشتيت أتباعه[5].

2- امتناع بعض بلدان المشرق عن أداء الخراج:

أدى انشغال الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ في حربه مع معاوية وأنصاره إلى تطلع أهل البلاد المفتوحة إلى الخروج على طاعته، والامتناع عن دفع الخراج، فقد ذكر الطبري أنه حين أرسل الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ جعدة بن هبيرة إلى خراسان بعد رجوعه من صفين وجد أن أهل أبر شهر "قد كفروا وامتنعوا، فقدم على علي، فبعث خليد بن قرة اليربوعي، فحاصر أهل نيسابور حتى صالحوه، وصالحه أهل مرو"[6].

---

(1) المصدر نفسه، ج 5، ص 113.
(2) المصدر نفسه، ج 4، ص 113 – 114.
(3) المصدر نفسه، ج 5، ص 120؛ فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ص 80.
(4) المصدر نفسه، ج 5، ص 125.
(5) المصدر نفسه، ج 5، ص 113 – 132؛ فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ص 80 – 81.
(6) المصدر نفسه، ج 5، ص 63 – 64.

ولم يقتصر الأمر على خروج هؤلاء فقط. بل إن أهل فارس وكرمان قد خرجوا على الطاعة أيضًا وامتنعوا عن دفع الخراج "فغلب أهل كل ناحية على ما يليهم، وأخرجوا عمالهم"[1]. فقام الخليفة علي بن أبي طالب بتعيين زياد بن أبيه واليا عليهم "ووجهه في أربعة آلاف، فدوخ تلك البلاد حتى استقاموا"[2].

3- امتداد سلطان معاوية إلى مصر:

كانت مصر من ضمن الولايات التي منحت ولاءها للخليفة علي بن أبي طالب ﷺ، فتعاقب عل حكمها ثلاثة ولاة من ولاته هم: محمد بن أبي حذيفة، وقيس بن سعد بن عبادة، ومحمد بن أبي بكر، غير أنها لم تعدم وجود أنصار للخليفة عثمان بن عفان ﷺ، وقد شعر هؤلاء بالحزن الشديد على مقتله، ومع ذلك فقد اتخذوا موقفًا محايداً في الصراع الذي دار بين معاوية وعلي بن أبي طالب ﷺ بسبب الموقف الحكيم الذي اتخذه قيس بن سعد منهم. إلاّ أن الموقف بدأ يتغير حينما عيّن محمد بن أبي بكر على ولاية مصر، إذ بدأ يعمل على حملهم على اتخاذ موقف واضح في مناصرة الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ ضد معاوية في وقت بدأت فيه كفة الصراع تميل لصالح معاوية بعد ظهور نتائج التحكيم، فأرسل محمد جيشاً لمحاربتهم، وكانوا يقيمون في قرية من قرى دلتا مصر تدعى "خربتا"، فهزموا جيشه، وأعلنوا خروجهم على طاعته، وقد أفسح هذا التطور الطريق أمام معاوية بن أبي سفيان لمد سلطاته إلى مصر، فأرسل جيشاً مؤلفًا من ستة آلاف رجل من أهل الشام بقيادة عمرو بن العاص فدخلها، وقد انضم إليه أهل خربتا ومن تابعهم من أهل مصر، ولم يستطع محمد بن أبي بكر مقاتلتهم بصورة جدية لأن أتباعه كانوا قد تفرقوا عنه، ففر من أمامهم هارباً ثم ألقي القبض عليه بعد ذلك فقتل، وبذلك أصبحت مصر في حوزة معاوية بكل ما تملكه من واردات وقوة[3].

إن التطورات الآنفة الذكر قد ساعدت على تقوية مركز معاوية كثيراً، مما شجعه على اتخاذ زمام المبادرة في تحدي سلطة الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ في الولايات التابعة لحكمه مباشرة مثل البصرة والكوفة والمدينة ومكة واليمن، إذ أخذ يرسل سرايا ومبعوثين للعمل على دعوة الناس للدخول في طاعته وطرد عمال الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ [4]، ولم يظهر عمّال الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ من العزم والحزم ما

---

(1) المصدر نفسه، ج 5، ص 137.

(2) المصدر نفسه، ج 5، ص 137.

(3) الطبري: تاريخ، ج 5، ص 94 – 105.

(4) المصدر نفسه، ج 5، ص 133 – 140.

يوقف تحركات معاوية عند حدها، بل إن ترددهم وعجزهم قد شجع معاوية على إرسال سرايا للقيام بغارات مسلحة على قلب العراق، وقد أورد الطبري العديد من الروايات عن ذلك، كان من أبرزها أن معاوية قام في سنة 39 هـ بتوجيه سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل "وأمره أن يأتي هيت فيقطعها، وأن يغير عليها ثم يمضي حتى يأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها. فسار حتى أتى هيت فلم يجد بها أحداً، ثم أتى الأنبار وبها مسلحة لعلي تكون خمسمائة رجل، وقد تفرقوا فلم يبق منهم إلاّ مائة رجل، فقاتلهم، فصبر له أصحاب علي مع قلتهم، ثم حملت عليهم الخيل والرجالة، فقتلوا صاحب المسلحة، وهو أشرس بن حسان البكري في ثلاثين رجلاً، واحتملوا ما كان في الأنبار من الأموال، وأموال أهلها، ورجعوا إلى معاوية. وبلغ الخبر عليا فخرج حتى أتى النخيلة، فقال له الناس: نحن نكفيك، قال: ما تكفونني ولا أنفسكم، وسرح سعد بن قيس في أثر القوم، فخرج في طلبهم حتى حاز هيت، فلم يلحقهم، فرجع"[1].

لقد دفعت هذه الأوضاع الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ إلى اليأس من تحول الموقف لصالحه، ونسبت إليه العديد من الأقوال التي يشكو فيها من ضعف أصحابه وترددهم وعدم استجابتهم لأوامره وتوجيهاته[2]، فلا غرابة أن يقبل ما عرضه معاوية عليه في حدود سنة 40 هـ / 660 م من شروط للمهادنة، فيتوقف كل منهما عن محاربة خصمه "ويكون لعلي العراق، ولمعاوية الشام، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولاغارة، ولا غزو"[3].

فقد أورد الطبري رواية عن ابن إسحاق جاء فيها: "لما لم يعط أحد الفريقين صاحبه الطاعة كتب معاوية إلى علي: أما إذا شئت فلك العراق ولي الشام، وتكف السيف عن هذه الأمة، ولا تهريق دماء المسلمين، ففعل ذلك، وتراضيا على ذلك، فأقام معاوية بالشام بجنوده يجيبها، وما حولها، وعلي بالعراق يجيبها ويقسمها بين جنوده"[4].

لقد كان واضحًا أن هذا الاتفاق هو هدنة مؤقتة أملتها الضرورات الواقعية، ولا بدّ أن كلاً من الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ ومعاوية بن أبي سفيان كانا يفكران بالبحث عن الوسائل والطرق التي تحسم الصراع لصالح أحدهما، إذ لا يمكن أن يجتمع سيفان في غمد واحد، وبخاصة وأن هنالك من الأدلة ما يشير إلى أن معاوية كان يخطط للحصول على مبايعة أهل الشام وغيرهم له بالخلافة، بل أن هنالك من الدراسات ما

(1) المصدر نفسه، ج 5، ص 134.

(2) المصدر نفسه، ج 5، ص 134؛ الامام علي: نهج البلاغة، ج 1، ص 187 – 190.

(3) الطبري: تاريخ، ج 5، ص 140.

(4) المصدر نفسه، ج 5، ص 140.